

فهرس ذكرى المولد النبوي

صفحة

المقدمة في تاريخ إحداه الاحتفال بالمولد وبيان حكمه هل هو

بدعة حسنة أم منكورة

١ فائحة ذكرى المولد النبوي

٣ قومه ونسبه صلى الله عليه وسلم

٤ وجوه اصطفاء العرب على جميع الامم - خلاصة تاريخية

٩ « كنانة وقريش وبنو هاشم من العرب

١١ سرد نسبه (ص)

١٢ زواج عبد الله بآمنة والحمل بالنبي (ص)

١٣ تاريخ ولادته وخبر رضاعته وحضانه (ص)

١٤ معيشته في الحداثة وكسبه وزواجه (ص) وفيه صفة خديجة رضي الله عنها

١٧ البثة النبوية وجملة سيرته (ص) قبلها

٢١ تبليغ الدعوة الاسلامية وخالصتها وفيه بيان ما امتاز به على الاديان

٢٥ آية الله الكبرى - القرآن الحكيم

٣٠ مناهضة الدعوة، وإجاء الرسول الى الهجرة

٣٦ أخلاقه وسيرته بعد الهجرة مع المؤمنين وحاله مع أهل الكتاب

والمشركين

٤٢ الخاتمة . وفيها بيان اكمال الدين وأثر نبوته (ص) وما تركه لأُمَّته

مقدمة لذكرى المولد النبوي

فيها بيان تاريخ الاحتفال بالمولد وحكمه شرعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه
أما بعد فإن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة ، وقد
اختلف في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيئة كما سيأتي، والمشهور أن المحدث لها هو
أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركاني الخنيس الملقب الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل^(١) أحدثها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن
السادس فإن السلطان صلاح الدين ولاء على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وتوفي سنة
٦٣٠ . وقد كان سخيا متلافا صاحب خيرات كثيرة، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد
ألوقا كثيرة، ففي تاريخ ابن خلكان أنه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل
قبة منها أربع طبقات أو خمس طبقات له قبة منها والباقي للأمراء وأعيان دولته، وكانوا
يزينون هذه القباب في أول شهر صفر بأنواع الزينة الفاخرة، وكان يكون في كل قبة
جوق من الاغانى وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، بل كانوا
لا يتركون طبقة من الطبقات بغير جوق من تلك الاجواق . وكان الناس يتركون
كل عمل في تلك الايام فلا يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران على القباب

قال ابن خلكان فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم
شيئا كثيرا زائدا عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والاعاني والملاهي حتى
يأتي بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الالوان المختلفة

فاذا كانت ليلة المولد (١) عمل الساعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع — أشك في ذلك — من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل . فاذا كانت صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة الى الخائقاء على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متابعون كل منهم وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحمق عدده ،

ثم ذكر عرضه الجند وتوزيعه تلك الخلع بعد ذلك على الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ومد السباط . وكان قد ذكر قبل ذلك أن الناس كانوا يأتون هذا الموسم في اربل من بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد المعجم وتلك الدواحي فلا يزالون يتواصلون من شهر المحرم الى أوائل شهر ربيع الاول

لخصت هذا من تاريخ ابن خلكان الذي وصف مارآه بعينه لان ما يعمل بمصر الآن يشبه ما كان يعمل في اربل الا أنه دونه عظمة ونفقة، فهنا تنصب قباب أو خيام النسيج الجميلة لعزير مصر ولوزارات حكومته وبعض الوجهاء في دائرة واسعة ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الاول يسمعون في بعضها وعظ الوعاظ وذكر أرباب الطرق المعروفة . ويرأس الاحتفال هنا شيخ مشايخ طرق الصوفية ، ويقام بجانب خيمته مأدبة فاخرة في مساء اليوم الحادي عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجهاء ، ويكون الاحتفال الاكبر في الليلة الثانية عشرة في خيمته فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الامراء والوزراء حتى اذا ما انتظم جمعهم حضر عزير مصر بمحاشيته وتقرأ بين يديه قصة المولد فيخلع على من يقرأها خلعة سفية ، وتدار بعد قرائتها كوؤوس الشراب المحلى وصواني الحلوى الجافة . ثم ينصرف العزيز الى خيمته وهي بجانب قبة شيخ الشيوخ فيمكث فيها ساعة زمانية، يشاهد في أثناءها زينة الالمان النارية، ثم ينصرف وينصرف الامراء والوزراء، ويظل الناس يطوفون على

(١) هي الليلة التاسعة من ربيع الاول على المختار عند المحدثين او ليلة ١٢ منه على المشهور عند الجمهور وكان مظهر الدين براعي الخلاف فيجعلها ليلة تسع في سنة و ليلة ١٢ في اخرى

تلك الخيام المزينة بالانوار الكهر بائية وغير الكهر بائية عامة ليلتهم . وفي ضحوة ذلك اليوم يحضر نائب العزيزية شيخ الشيوخ فتمرض عليه مواكب الطرق الصوفية يتقدم كل طريقة شيخها وهم يهللون أو يتلون الاوراد ويقف كل منهم امام شيخ الشيوخ قليلا فيحبيه ثم ينصرف

وقد استحسن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الارض ومغارها ويحتمون لقراءة قصته في المساجد ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت ، وهذه لا تتقيد بجمعها في تاريخ الميلاد النبوي ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعده بدعة مذمومة لانه عد موسما وشعارا دينيا وعبادة غير مشروعة يظن العوام أنها مشروعة ولما يفتنن به من المنكرات الاخرى . وقال بعضهم انه بدعة حسنة لانه عبارة عن الشكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور في مثل اليوم الذي ولد فيه وبما يكون فيه من الصدقات والاذكار ، وقد ألفت الجلال السيوطي رسالة في عده بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعا وعرفه بقوله : هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدأ أمر النبي (ص) وما وقع في مولده من الآيات ثم يد لهم سماط فيا يكون وينصرفون من غير زيادة على ذلك . وذكر أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله : أصل عمل المواد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فن جرد في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا

ثم بين ان الحافظ خرجه على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكرا لله تعالى على انجائه فيه موسى نبيه واغراق فرعون عدوه، قال: فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم ؟ وعلى هذا فينبغي ان يتجرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، وتوسع قوم فنقلوه الى أي يوم من السنة،

وفيه ما فيه . فهذا ما تعلق بأصل عمله . وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما ينهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من الاطعام وانشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل للآخرة ، وأما ما يتبع ذلك من السماع والاهو وغير ذلك فينبغي ان ما كان من ذلك مباحا بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الاولى اه .

وقد يقال لماذا لم يتم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة المجتهدين ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية ؟ فهل كان صاحب اربل التركياني ومن تبعه أعلم وأهدى منهم وأعظم شكرا لله تعالى ؟ ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب اياه على تعليل صيام يوم الاثنيين بأنه يوم ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي مزيد بيان لحجة المخالف

وخرجه السيوطي على أصل آخر استنبطه من تخريج شيخه الحافظ وهو مارواه البيهقي من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرق عن نفسه بعد النبوة (قال) مع انه قد ورد ان جده عبد المطالب عرق عنه والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان الذي فعله النبي (ص) اظهار للشكر على إيجاد الله اياه رحمة للعالمين ونشرع لأئمة كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه الآيات واظهار المسرات اه

وهذا التخريج ضعيف من وجوه (أحدها) ان هذا الحديث منكر كما قال راويه البيهقي بل باطل كما قال النووي في شرح المهذب (ثانيها) انه لو صح لكان دليلا على استحباب عرق الانسان عن نفسه ولم يقل بهذا أحد (ثالثها) جعل قولهم ان العقيقة لا تعاد حجة على الحديث على تقدير صحته مع كون عبد المطالب عرق عنه (ص) (رابعها) انه لو كان نشر يعامل به الصحابة وغيرهم وقال به أئمة الفقهاء أو من بلغه منهم (خامسها) ان يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة لان النعمة والرحمة انما كانت برسالته (ص) بنص قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

وحجة المنكرين في هذا الباب أن كل بدعة دينية تعد من العبادات المحضة أو

تجعل من شعار الدين فهي محظورة لأن الله تعالى أكمل الدين وأجمعت الامة على أن أهل الصدر الاول أكل الناس ايمانا واسلاما، وان كل بدعة ليست من هذا القبيل كالمنافع الدنيوية والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا كالمدراس والمسشفيات والملاجئ الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيته فيها فانها تعد بدعة حسنة، والتحقيق ان هذه لا تسمى بدعة شرعية وانما يطلق عليها اسم البدعة لغة فلا تدخل في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الصحيح عند مسلم « وشرا الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » لان موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين ، ولكنها تعد من السنن الحسنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » - الحديث (وهو في صحيح مسلم أيضا) فقد رغب أمته بهذا الحديث في الاختراع النافع لها في دينها ودنياها ولكن ليس لاحد ان يتخترع في الدين نفسه شيئا .

ثم ان البدعة الدينية إما ان تكون اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لها وإما ان تكون تخصيصا لعبادة مشروعة بزمان معين أو مكان معين أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع . ومن هذا النوع عد الفقهاء صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة . قال النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . وقد سمي الشاطبي هذا النوع بالبدع الاضافية وسمى النوع الاول البدع الحقيقية . وأطال في بيان ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلا

هذا وان ما يهد من الاحتفال بالمولد ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع ولا هو عمل ديني محض بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها أو ببعضها على وجه غير مشروع ، وبين لعب وهو بعضه مباح وبعضه محظور ، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام يرقص فيها النساء المتهتكات . مكشوفت الصدور والبطون كما يحصل دائما في غيره من احتفالات الموالد . كالمولد الحسيني والمولد البدوي - وما هو شر من ذلك ، ولكن قد أبتل هذا كلف من الاحتفال الذي يكون في القاهرة والله الحمد

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريجه على أصل شرعي بابطال ما يكون فيه من اللهو والاقتصار فيه على عمل الخبر، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة وتلبس بها لما احتيج في تخريجه الى ما تكلفوه .

وأما اجتماع الناس في مثل القباب والخيام التي تنصب في العباسية ، وتزين بالمصابيح والانوار الكهر بائية ، واظهار البهجة والسرور ، بذكرى مولد ذي الضياء المعنوي والنور ، وذكر اخراج الله الخلق بهديه من الظلمات ، وما آتاه من الهدى والآيات ، فهو في نفسه من المباحات ، المقرونة بالاستحبات والمندوبات ، بشرط ان يخلو من البدع والمنكرات ، وأن لا يمد من الشعائر الدينية ولا من العبادات ، فاذا كان بحيث يظن العامة انه مطلوب شرعا ، حرم فعله قطعا ، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض المسنونات ، امثلا تظن العامة انها من الواجبات ، ومن هنا صرح الشاطبي في الاعتصام ^(١) بكون اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيداً من البدع . وأفتى ابن حجر المكي بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة وذكر ان الناس يفعلونه تعظيماً وقال د فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص ، ^(٢) وقد علل فتواه بأن القيام يوم العامة انه مندوب ، ويزاد عليه ان بعضهم يظن انه واجب ، وقد يعلل أيضا بأنه يفعل بهيئة العبادة لما يكون من الصلاة المخصوصة المعينة بالعدد في أثنائه . ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى ، فما زال العلماء يقومون كغيرهم ولم نر لهم رداً للفتوى بدليل أرجح من دليلها ، ولعل أكثر العوام يعتقدون وجوب هذا القيام لالتزام العلماء وسائر الناس له ، ولو فطنوا ترك أحد له لعدوه فاسقا متهاونا بالدين أو كافرا مارقا منه ، ولعلك لو اقترحت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الاوقات ليعلم العامة أنه غير واجب لما تجروا على ذلك . والحق ان قصد التعظيم الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع . فان من طباع البشر ان يببالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا . لان هذا التعظيم لا مشقة فيه على

النفس فيجعلونه بدلا مما يجب عليهم من الاعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالاعمال التي يقوم بها أمره ويعتز دينه ان كان رسولا، وماكده ان كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشد ممن بعدهم تعظيما للنبي (ص) ثم للخلفاء، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذه السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني. ولا شك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم، وليس من التعظيم الحق له ان نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل لاجل تعظيمه به، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية حتى صارت أديانهم غير ماجأت به رسلم، ولوتساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سنتهم شبرا بشبر وذراعا بذراع لضاع أصل ديننا أيضا، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الاصل فالواجب علينا أن نرجع اليه ونعص عليه بالنواجذ، ويجب على العلماء ان يبينوا للناس الاحداث والبدع محذرين منها، كما يجب عليهم ان يبينوا لهم الفرائض والسنن مرغبين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والقرار والتوك كما ان التشريع حصل بذلك فقد كان (ص) يترك بعض سننه لئلا تفرض قال الامام الشاطبي في الاعتصام^(١): وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء ورثة الانبياء فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله وقراره كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله وقراره، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينكرها العلماء أو عملوا بها فصارت تعد سننا ومشروعات كزيادتهم مع الاذان « أصبح لله الحمد » الخ وقد أطال في هذه المسألة وبين مفاسد السكوت قبل هذه العبارة وبعدها ولا سيما عمل « الخواص من الناس بالبدعة عمودا وخاصة العلماء خصوصا » وذكري هذا السياق ان علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس انها واجبة، ومن ذلك ان أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس انها واجبة^(٢) - على

ان بعض الفقهاء بعدم قل بوجوبها - ونقل عن الامام مالك انه قال في الموطأ في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقهاء بصومها - قال - ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وان أهل العلم بكرههون ذلك وبخافون بدعته وان يلحق أهل الجهالة والجهلاء برمضان ما ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم ورأوه يقولون ذلك اه وقد كان الامام مالك يعرف الحديث في صيامها وكلامه يدل على ذلك كما قال الشاطبي ولكن سد ذرائع البدع اقتضى ترك هذا المستحب، ومالك من أشد الائمة تشديدا في ذلك . ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله : « من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فما لم يكن يومئذ ديننا لا يكون اليوم ديننا اه (١) وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد « لم يكن بالامر القديم وانما هو شيء أحدث ولم يأت آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن » اه (٢)

وجملة القول ان خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللغو وجعل ذلك عملا واحدا عن باحث ديني هو الذي يجعل مجموع تلك الاعمال من قبيل الشعائر الدينية ويوم العوام ان تلك العادات - وكذا العبادات المبتدعة في هيئتها وتوقيتها وعددها - من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة ندبا أو وجوبا كما قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكرو لادته عليه أفضل الصلاة والسلام وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كما قلنا وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي، ولكن كثيرا من الناس كتبوا (مولد) حشوها بالاحاديث الموضوعة والمنكرة وفي بعضها وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق كالتغزل بجماله . وكنت منذ سنين أنمى لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع يتحرى فيها الصحيح المفيد، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك الضار السيئ التأثير، بيد أنني كنت أنحامي أن أكتب في ذلك شيئا باسم المولد لئلا أكون محدثا أو مساعدا أو مقرا لما لم يفعله السلف الصالح

ثم كان أن دعائي في غرة ربيع الأول من عام ١٣٣٤ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري^(١) إلى مأدبة أعدها في داره وسماع قصة المولد بعدها فأجبت الدعوة ، وتوسلت بها إلى تنفيذ تلك الفكرة ، إذ كنت علمت من أحاديث جرت بيني وبينه أنه من محبي الإصلاح لطرق الصوفية وغيرها ، وهناك كلمته في قصص الموالد المشهورة ووجوب تغييرها فاستحسن ذلك ، فقلت له أرايت إذا كتبت شيئاً في هذا الموضوع أتسبذل به ما يقرأ عندك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قال نعم. فانتهرت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلاً وموضوعاً ، ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار فأتممته في بضعة أيام متفرقة لم تتر أسبوعاً ، وكتبت أكثره في دار البكري وكنت أطلعه على ما أكتب فيسر به ، ولكنه جاء طويلاً لا يمكن أن يقرأ في الحفلة الرسمية كلها ، فاختصرنا منه نسخة قرئت في الحفلة الرسمية ، فكانت موضع إعجاب أهل الفهم والذكاء من الوزراء والكبراء وغيرهم من أهل الروية ثم اطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبي الإصلاح فرغبوا إلي في طبعه ونشره ، ورأوا أنه من أحسن ما ينشر في هذا العصر لبيان حقيقة دعوة الإسلام وكليات الدين وخلاصة السيرة النبوية ، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعثة وقصة الهجرة وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام . طبعته في المنار ثم جردته منه وطبعته على حديثه ، وحذفت مما طبع في المنار جملة وجيزة اقتبستها من (رسالة التوحيد) وزدت مسائل أخرى قليلة. فكان فوق ما كنت أقدر وأتوخى في هذا المقام ، الذي اعتيد فيه الاختصار ، فجاء كتاباً وجيزاً حاوياً لخلاصة الحقائق المتفرقة في أسفار التاريخ والسيرة النبوية ، وكتب التفسير والحديث والعقائد الإسلامية ، مينا لكنه الإسلام وحقيقته ، وكليات أحكامه وحكمته ، بعبارة يسهل على الناس فهمها ، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها ، وحروف مضبوطة بالحركات ، وأسجاع غير متكلفات ، فهو جدير بأن يُقرأ في البيوت وفي المحافل ، وبأن يلقي الطلاب العلوم الدينية والدينية في المدارس ، وإذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فرادى ولم يرفعوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في

(١) بيت البكري من أشهر بيوتات مصر ينسبون إلى الصديق (رض) ربانهم الجمهور بقلب السيد كاله اوبين

أوقات معينة لا يكون في قراءتهم ولا سماعهم له شبهة على الابتداع الحقيقي ولا الاضافي
طريقة اختصاره في القراءة

هذا - وان لمن يقرأه على الناس في وقت ضيق ان يختصر منه بعض الفصول
كفصل الهجرة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ الى فصل أخلاقه وسيرته (ص) في الصفحة
٣٦ ويمكن ترك هذا الفصل أيضا الى الخاتمة في ص ٤١ واذا كان المقروء عليهم
من العوام فلا قارى ان يحذف مما يقرأ لهم بحث اصطفاء الله لقومه وقبيله وآل بيته
(ص) من أول الصفحة ٤ الى نهاية ص ١٠ لان هذا البحث لا يفهمه حق الفهم ، الا
الخواص من أهل العلم ، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحديث
الصحيح من اصطفاء الله تعالى كنانة وقريشا وبني هاشم ، وحكمة جعل دين العلم
والمدينة ، على لسان نبي أمي بعث في أمة أمية ، ولم أر أحدا سبقني الى بيان مزايا
العرب التي أهدم الله بها لهذه المنقبة العظيمة ، والله الحمد والمنة (رب أوزعني أن
أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي
إني تبت اليك واني من المسلمين) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله
وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين . وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥

محمد رشيد رضا

أغلاط طبيعية في الشكل ينبغي تصحيحها بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٩	إر بل	إر بل	١٣	١٨	الثانية عشرة	الثانية عشرة
٦	١٥	وخرافات	وخرافات	٢٠	٨	الوحي	الوحي
٧	٣	كان يعدّ	كان يعدّ	٢٤	١٦	أقرب	أقرب

﴿ استدراك على الحواشي ﴾

شاعر الانصار صاحب الايات المذكور بعضها في ص ٣٦ هو أبو قيس صرمة
ابن أبي أنس كان قد ترهب وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية
فلما جاء الاسلام اسلم وهو شيخ كبير وله شعر كثير وعاش نحو من ١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ ، أَنْ بَعَثْتَ فِيْنَا مُحَمَّدًا خَاتَمَ
 النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَأَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً عَامَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَأَخْتَصَصْتَ بِمَنِّكَ
 بِهِ الْأُمِّيَّينَ وَسَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَسْتَجِبْتَ بِهِ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ ، وَحَقَّقْتَ
 بِهِ بَشَارَةَ عِيسَى وَالنَّبِيِّينَ (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
 وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
 مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا
 إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
 عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *) — وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ
 اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
 مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ
 أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ
 إِضْرِي ، قَالُوا اقْرَضْنَا ، قَالَ فَأَشْهَدُوا ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * لَقَدْ مَنَّ
 اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٌ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ * وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

نحمدك اللهم ونصلي ونسلم على هذا النبي الامين، وعلى آله واصحابه
الذين اقاموا الدين، ومن تبعهم في هداهم وهديتهم الى يوم الدين

*

أما بعد فإن الاحتفال بذكرى المولد النبوي في شهر ربيع
الاول، عادة أحدثها في القرن السابع الملك المظفر أبو سعيد صاحب
إربل، من البلاد التابعة الآن لولاية الموصل، ثم انتشرت هذه
العادة في الأقطار، وقد بدأت مصر بها جميع الأمصار، والفائدة التي
ينبغي أن تتوخى^(١) في هذا اليوم الذي فضل الأيام، هي التذكير
بمخلاصة تاريخ النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ليتذكر المؤمنون منة
الله عليهم ببعثته، وتتغذى أرواحهم بزيادة الإيمان به وكمال محبته،
ويخرجوا على إقامة دينه وإحياء سنته. وهما نحن أولاء نشرف
الاشماع بفرائد من نسبه وحسبه^(٢)، ومزايا قومه وعشيرته،
وأخبار مولده وتربته، وكيفية معيشته في نفسه، وزواجه وسيرته
مع أهله، تمهيداً لبيان المقصد الأهم الأعظم، وهو نبأ بعثته صلى
الله عليه وسلم، مستمدين ذلك من الكتاب العزيز والسنة الثابتة

(١) تتوخى تعتمد وتخص بالطلب والقصد (٢) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء

عندَ المحَدِّثينَ ، وما تمسُّ الحاجةُ اليه مما أثبتته ثقاتُ المؤرِّخينَ ،
مُعْرِضِينَ عنِ الرِّوَايَاتِ الْمَوْضُوعَاتِ ، وَالْوَاهِيَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ ؛
التي عني الكثيرونَ بنقلها لما فيها من الخوارقِ والغرائبِ ، مبالغةً فيما
أجازَه العلماءُ من قبولِ الأخبارِ الضعيفةِ في المناقبِ ، ولما يُرْجَى من
حُسنِ تأثيرها في قلوبِ العوامِ ، معَ الغفلةِ عما يُخشي من ضدِّ ذلك في
نابذةِ هذه الأيامِ ؛ على أن لنا فيما لا يُحصَى من الفضائلِ والمناقبِ
المشهُورَةِ والمتواتِرَةِ ، ما يُبغِي عن جميعِ الرِّوَايَاتِ الضعيفةِ والمنكُرةِ ،
وبذلك يُعرَفُ قدرُ الإصلاحِ العظيمِ ، الذي أرسلَ اللهُ به هذا
النبيَّ الكريمَ ؛ عليه من الله أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ

فوره ونسب صلى الله عليه وسلم

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
الْعَالَمِينَ) إِذْ جَعَلَ فِيهِمُ النَّبُوَّةَ وَالْهِدَايَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ؛
ثمَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ
كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَى سَيِّدَ وَوَلَدَ آدَمَ مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَكَانَ آلُ إِسْمَاعِيلَ أَفْضَلَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، كَمَا كَانَ
بَنُو إِسْحَاقَ أَفْضَلَ الْمُتَوَسِّطِينَ ، إِذْ كَانَتْ هِدَايَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي
إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ خَاصَّةً ، وَهِدَايَةُ هَذَا النَّبِيِّ مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ عَامَّةً ،
فِيهِ أَكْمَلُ اللَّهِ تَعَالَى الدِّينَ ، وَأَتَمُّ نِعْمَتِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، كَمَا اقْتَضَتْهُ سُنَّتُهُ
تَعَالَى فِي النَّشْوءِ وَالْأَرْتِقَاءِ ، الَّتِي كَانَتْ فِي الْبَشَرِ أَظْهَرَ مِنْهَا فِي
سَائِرِ الْأَحْيَاءِ .

كيف كان اصطفاء الله تعالى لهذه الأصول من الأمة العربية، الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة السنية؟ وبماذا أمتاز قوم خاتم الرسل الكرام، ففضلوا به غيرهم من الأقسام، حتى أستمدوا به لهذا الإصلاح الروحي والمدني العام، الذي اشتمل عليه دين الإسلام، على ما طرأ عليهم من الأمية وعبادة الأصنام، وما أحدثت فيهم غلبة البداوة من التفرق والالتسام؟

الجواب -:

كانت العرب ممتازة باستقلال الفكر وسعة الحرية الشخصية، أيام كانت الأمم ترسف^(١) في عبودية الرياستين الدينية والدينية، محظوراً عليها أن تفهم غير ما يقننها الكهنة ورجال الدين من الأحكام الدينية، وأن تخالفهم في مسألة عقلية أو كونية أو أدبية. كما حُظرت عليها حرية التصرفات الدنيوية والمالية

كانت العرب ممتازة باستقلال الإرادة في جميع الأعمال، أيام كانت الأمم مدللة مسخرة للملوك والنبل المالكين للرقاب والأموال، يستخدمونها كما يستخدمون البهائم، ويصرّفونها كما يصرّفون السوائم^(٢) لا رأي لها منهم في سلم ولا حرب، ولا إرادة لها ذنهم في عمل ولا كسب

كانت العرب ممتازة بعزّة النفس، وشدة البأس، وقوة الأبدان، وجراءة الجنان، أيام كانت الأمم مؤلفة من رؤساء

(١) ترسفت بمعنى المشية المفيدة - يشبه تصرفها في استعباد الرؤساء لها بمشي الأسير

في قيوده (٢) السوائم المواشي الراحية

أفسدَهم الإسرافُ في الترفِ، ومرضَهم أضعفَهم البؤسُ والشظفُ^(١)
 وسادةِ أبطرَهم بغيُّ الأستبدادِ، ومسودين أذلهم قهرُ الأستعبادِ
 كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفرادِ، من غيرِ
 شرائعٍ مُحترَمٍ بالأعتقادِ، ولا قوانينٍ تكفلُها قوَّةُ الأجنادِ. أيامَ
 كانت الاممُ تنقسمُ إلى طبقاتٍ، يرتفعُ بعضها على بعضٍ عدَّةَ دَرَجاتٍ،
 لا بفضائلٍ ذاتيةٍ، من علميةٍ أو عمليةٍ، بل بحكمِ وراثَةِ الخلفِ الطالحينِ^(٢)
 للسلفِ المستكبرينِ، باستبدادِ الملوكِ أو تقاليدِ الدينِ

كانت العربُ ممتازةً بالذكاءِ واللذةِ، وكثيرٍ من الفضائلِ
 الموروثَةِ والكسبيةِ، كقرى الضيوفِ، وإغاثةِ الملهوفِ، والنجدةِ
 والإباءِ،^(٣) وعلوِّ الهممةِ والسخاءِ، والرَّحمةِ والإيثارِ،^(٤) وحمايةِ اللاجيءِ
 وحرمةِ الجارِ، أيامَ كانت الأممُ مُرَحمةً بالأثرةِ والأنايةِ،^(٥) والآنينِ
 من ثقلِ الضرائبِ والآتاوى^(٦) الأميريةِ، ورؤساؤها مُنعمينِ في
 الشَّهواتِ البهيميةِ، وفسادِ الأخلاقِ قد عمَّ الراعي والرعيةَ

(١) الشظف بفتح الحاء ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلفون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء

الفاسدون فهو ضد الصالحين

(٣) النجدة مضاء عزم يبعث صاحبه على المضي فيما يعجز عنه غيره. والاباء

الترفع عن الخسائس (٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) المرهق المحمول عليه في الامر ما لا يطيق. والاثرة بالتحريك تقديم نفسك

على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار، والباء للسببية. والانانية المبالغة

في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة الى كلمة «أنا»

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه

أقساطا، ومنها الجزية، وضريبة الارض الخراج. والآتاوى جمع إتاوة وهي

الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العرب قد بلغت أوج الكمال ، في فصاحة اللسان
وبلاغة المقال ، وكادت تتحد لغات قبايلها أو لهجاتها العربية ، وتغلب
المُضَرِّيَّة منها على أَلْحَمِيَّة ، بما كان لِقَرِيش وغيرها من الرّحلاتِ
التِّجارية ، والأسواق الأديبة ؛ فأستعدت بذلك لِلوَحْدَةِ القومية ،
والتأثير والتأثير بالبراهين العقلية ، والمعاني النخطائية والشعرية ، وللتنوير
عن جميع العلوم الإلهية والشرعية ، والفنون العقلية والكوئيبة ،
أيام كانت الأم تنفصم عرّى وحدثها بالتعصبات الدينية والمذهبية ،
وتتفرق وشائجها^(١) بالعداوات الجنسية ، وتتمزق ذولها بالحروب
الأجنبية والأهلية .

فتلك أمهات مزايا الأمة العربية ، التي أعدها الله تعالى بها للبعثة
المحمدية ، والسيادة الدينية والمدنية ، بعد أن طال العهد على مدّيتهم
المادية ، واستعمارهم للبلاد الكلدانية البابلية ، والبلاد الفينيقية
(السورية) والمصرية ، التي تشهد لها سيادة لغتهم اللغات السامية ،
وبقاياها في اللغة الهيروغليفيّة^(٢) ، وبعد أن غلبت عليهم الأمية ،
وخرافات الوثنية ، وعصية الجاهلية

وأعظم مزاياهم أنهم كانوا أسلم الناس فطرة ، على كون أم الحضارة
كانت أرقى منهم في كل فن وصناعة . والأصلاح الإسلامي مبني على

(١) الوشيج والوشيجة اشتباك القرابة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر
الرماح ونحوه مما يشبك (٢) أقدم مدينة عرفها التاريخ مدينة الكلدانيين والبابليين في
العراق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى بعض علماء
العاديات (الآثار القديمة) ان أهلها كاهن من بلاد العرب . والهيروغليفيّة المصرية القديمة

تقديم إصلاح النفس باستقلال العقل والارادة وتهذيب الاخلاق،
على إصلاح مافي الارض من معدن ونبات وحيوان، وبهذا كان الله تعالى
كان يُعدُّ هذه الامة للإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من الله
أفضل الصلاة والتسليم

اصطفاء كنانة وفريسي وبنى هاشم

أما اصطفاء الله لساكنة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذي يبع
إسماعيل، فيفسره ما كانت تحفظه العرب من أخبار كرمه ونبله، وقد
نقل الحافظ في شرح البخاري أنهم كانوا يحجون إليه لعلمه وفضله،
وكان على سنة جده إبراهيم الخليل لا يأكل وحده، ومما يؤثر عنه
من الحكم الجليلة، كما روي في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ
تُخَالَفُ الْمُخْبِرَةَ، قَدْ غَرَّتْ بِجَمَالِهَا، وَأَخْشَبَتْ قُبْحَ فِعَالِهَا، فَأَحْذَرِ
الصُّورَ، وَأَطْلُبِ الخَبَرَ. فهذا دليل على ما وصف به من العلم والحكمة،
وأما حج العرب إليه فهو دليل على أنه كان مثابة التعارف، ومعتد
رابطه الأجماع والتألف.

*

وأما اصطفاء الله تعالى لفريسي الميامين النمر، وهم ذرية فهر بن
مالك وقيل جده النضر. فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظام، ولا
سيما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرح ولد اسماعيل
أنسابا، وأشرفهم أحسابا، وأعلام آدابا، وأفصحهم السنة، وهم
المهدون لجمع الكلمة. — فقد نقل أهل السير، أن مالك بن النضر

كان ملك العرب، وأن كعب بن لؤي كان يجمع قومه ويعظمهم يوم الجمعة، وكانوا يسمونه يوم العروبة، وأنهم كانوا يجاونه في حياته، ثم أرتخوا بموته بعد مماته، وأن قصيًّا هو الذي جمع شمل قبائل قريش بمكة، إذ كان هو الوارث لمن كانوا يتولونها من خزاعة^(١) وقد تملك عليهم فلذكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه، لا ينبغي له تغييره ولا لغيره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وقد أجمعت قريش على طاعته وحبه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والذوة واللواء، ثم وزعت المناصب بعده على الزعماء^(٢)

(١) قد كان ذلك بزوجه الحبي بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم . قال ابن اسحق : فلما انتشر ولد قصي وكبر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي انه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر . وان قريشا قرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصرح ولده ، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره . فولي قصي البيت وأمر مكة . الخ

(٢) كان لقريش من المناصب غير تلك الخمسة ، الاشناق والعمارة والسفارة والاعنة واقبة ، والأموال المحجرة للمعبودات كالاصنام ، والابصار الذي منه الاستقسام بالأزلام ، الذي يرجح به بين الاقدام والاحجام . وقد عليهم عليهما الاسلام : (فالحجبة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام . (والسقاية) توزيع الماء الحلي واقراح على جميع الحجاج . (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين . ولا سيما الحجاج المنقطعين . (والذوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور العظام . التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار بالنبي عليه الصلاة والسلام . (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب ، (والاشناق) تحمل الديات والمعازم . لمنع انتشار التعادي والتخاصم . (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام ، قيل وحفظه من اللغظ وهجر الكلام (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة ، كالقتال أو المفاخرة . (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطعان أو الرهان ، (والقبه) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب . ويجتمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفقوا له في حدّائِهِ الرَّسولِ. مِنَ التَّحالفِ
الذي عُرِفَ بِحَيْفِ الفُضولِ، إِذ تَعاهدُوا وتَعاهدُوا أَن لا يَجِدُوا بِمَكَّةَ
مَظْلومًا إِلا قاموا مَعَهُ، وكانوا عَوْنًا لَهُ على مَنْ ظَلَمَهُ، الى إِذ تُرِدَّ
مَظْلَمَتُهُ. وفي حديثِ الزُّبيرِ بنِ العَوامِ عند الطبرانيِّ، ومثلهُ حديثُ
أُمِّ هانئٍ في معجمه الأوسَطِ كَتارِخِ البخاريِّ، «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا سَبْعَ
خِصالٍ: فَضْلَهُمُ بأنَّهُم عَبَدُوا اللهَ عَشْرَ سَنِينَ لا يَعْبُدُ اللهُ إِلا
قُرَيشِيًّا^(١) وَفَضْلَهُمُ بأنَّهُ لَصَرََّهُمُ يَوْمَ الفِيلِ وَهُمُ مُشْرِكُونَ. وَفَضْلَهُمُ بأنَّهُ
نَزَلَ فِيهِمْ سورَةٌ مِنَ القرآنِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ العالمينِ. — وَهِيَ
لا يَلِفُ قُرَيشٍ — وَفَضْلَهُمُ بأنَّ فِيهِمُ النُّبُوَّةَ وَالخِلافةَ، وَالْحِجَابَةَ
وَالسَّقَايَةَ»

كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام، ولكن
هذه القوى المعنوية كلها وُجِّهت لمعادته عليه أفضل الصلاة والسلام

وأما اصطفاؤه الله تعالى لبني هاشم، فقد كان بما أمتازوا به من
الفضائل والمكارم، فقد روى أبو نعيم من حديث المستورد الفهرري
رضي الله عنه «إِنَّ فِيهِمْ خِصالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ أَصْلَحُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ،
وَأَسْرَعُهُمْ إِقامةً بَعْدَ مُصيبَةٍ. وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ
وَيَتِيمٍ، وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظَلَمِ المَمْلوكِ». وكان جدُّهم هاشمٌ صاحبَ إيلافِ

(١) أي لا يعبده ويوحده أحد إلا أناس منهم إذ كانوا على ملة إبراهيم وكانت

الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم

قُرَيْش، الذي أَخَذَهُمُ الْعَهْدَ مِنْ قَيْصِرِ الرُّومِ عَلَى حِمَايَتِهِمْ فِي رِحْلَةِ الصَّيْفِ، وَرَوَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ بِهَا مِنَ الْحُكُومَتَيْنِ، حُكُومَةِ الْيَمَنِ الْعَرَبِيَّةِ، وَحُكُومَةِ الشَّامِ الرَّومِيَّةِ، فَأَسْعَتْ بِهِمَا مَعِيشَةُ قُرَيْشٍ، وَأَمَّنُوا فِي تِجَارَتِهِمْ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَقَدَّامَتِنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، بِمَا عَدَّتْ بِهِ التِّجَارَةَ مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا أُطْلِقَ لِقَبِ هَاشِمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِلْمُسْتَنِينَ الْعِجَافِ^(١)، وَكَانَ يُشْبِعُ مِنْهُ كُلَّ أُمَّةٍ أَهْلِ الْمَوْسِمِ كَافَّةً، كَمَا أَشْبِعَ مِنْهُ قَوْمَهُ فِي سَنَةِ الْقَحْطِ وَالْمَجَاعَةِ، عَلَى أَنْ مَا نِدَّتُهُ كَانَتْ مَنصُوبَةً لَا تَرْفَعُ فِي انْسِرَاءٍ وَلَا فِي الضَّرَاءِ، وَزَادَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَكَانَ يُطْعَمُ الْوَحْشَ وَطَيْرَ السَّمَاءِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَحَنَّنَ بِغَارِ حِرَاءٍ، وَرَوَى أَنَّهُ حَرَّمَ الْخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ مَاءَ زَمْزَمَ لِلشُّرْبِ فَحَرَّمَ أَنْ يُفْتَسَلَ بِهِ،

فَجَمَلَةٌ مَا أَمْتَازَ بِهِ آلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ الْأَخْلَاقِ الْعَلِيَّةِ، وَوَالفَوَاضِلِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْفَضَائِلِ النَّفْسِيَّةِ، وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ سَاطَرَ قُرَيْشَ عَنِ الْكِبَرِ وَالْأَثَرَةِ وَالْأُمُورِ الْحَرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ غَلَبُوا عَلَى الرِّيَاسَةِ حَتَّى بَعَدَ الْإِسْلَامَ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ ظَاهِرَةٌ لِأَوْلِي الْأَحْلَامِ، فَهُوَ أَتَقَى لِلشُّبُهَةِ عَنِ رِسَالَتِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

(١) الْمُسْتَنُونَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَسْنَتِ الْقَوْمِ أَصَابَتِهِمْ السَّنَةُ وَالْقَحْطُ وَالْعِجَافُ جَمْعُ عَجْفٍ وَعَجْفَاءُ وَهِيَ الذَّنْ ضَعْفُوا وَهَزَلَتْ أَبْدَانُهُمْ، الْعِبَارَةُ مُؤَخَّوذةٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الزَّبَيْرِ فِي مَدْحِ هَاشِمٍ:

عَمْرُو الْعَلَا هَشَمُ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنُونَ عِجَافٍ

سر د نسب صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هَذَا التَّذْكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّفْسِيرِ لِأَصْطِفَاءِ اللَّهِ
 تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ، نُشْنَفُ الْأَسْمَاعَ بِنَسَبِهِ الْمُحْفُوظِ بِالتَّفْصِيلِ ،
 الْمَتَوَاتِرِ اتِّصَالَهُ بِنَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلِ ، فَنَقُولُ : هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
 اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، ابْنِ هَاشِمٍ وَأَسْمُهُ الَّذِي
 سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرُو ، ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأَسْمُهُ الْمُغِيرَةَ ، ابْنِ قُصَيِّ وَلَقَبَ
 بِمَجْمَعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْأَخْطِيرَةِ ابْنِ حَكِيمٍ الَّذِي لَقَّبَ بِكَلَابِ
 وَالْكَلابُ مَصْدَرٌ كَالْمُكَالِبَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمُجَاهِرَةُ بِالْعِدَاوَةِ وَالْمُنَاصِبَةُ ،
 ابْنِ مَرَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَدُّ الْقَوِيُّ ، ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ
 الرُّمَحِ الرُّدَيْيِّ ، ابْنِ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لُؤَاءٍ أَوْ لَأَى أَوْ لَأَى ^(١)
 ابْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ وَمَعْنَاهُ الْحَجْرُ الصُّفِيرُ ^(٢) وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ
 الْجَمَاهِيرِ ، ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَأَسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ
 الْمَشْرِقُ الْوُجْهِ ، ابْنِ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وَعَاءُ السَّهَامِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنِ خَزِيمَةَ
 وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ الْمَرَّةِ مِنَ الْحَزْمِ ^(٣) ، ابْنِ مَدْرِكَةَ وَأَسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرُو ،
 ابْنِ إِيَّاسٍ وَهُوَ مُخَفَّفُ الْيَاسِ ، ابْنِ مُضَرَ وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ ،
 وَمَعْنَاهُ اللَّبَنُ الْأَبْيَضُ أَوْ الْحَامِضُ الْخَائِرُ ، ابْنِ نِزَارٍ مِنَ النَّزْرِ

(١) اللواء معروف واللائي الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العينين. واللائي البطاء

(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطلقا

(٣) الحزم نظم اللائي في السلك

وَمَعْنَاهُ الْقَلِيلُ ، وَأَعْلَاهُ سُمِّيَ بِهِ تَقَاوُلًا بِقِيَامِهِ وَجُودِ مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ ، ابْنُ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعَدِّ ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الرَّفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ لِلْحَيْشِ ، « تَمَعَّدُوا » أَي تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُشُونَةِ الْعَيْشِ ، ابْنُ عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدُّ وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَخَزَيْمَةٌ وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » (١) وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مَرْفُوعًا « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمِينَ » (٢) فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالَّذِ الرَّسُولُ النَّظِيمُ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ عِقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالنَّسْلِيمِ ،

نَسَبٌ تَحَسَّبُ الْعُلَا بِحُلَادٍ قَلَدَتْهَا نُجُومَهَا الْجُوزَاءُ
حَبْدًا عِقْدُ سُودِدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ النَّصَاءُ

زواج عبد الله بآمنة والحمل بالذي وولادته

صلى الله عليه وسلم

انْحَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخریج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه الحبر .

قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزيمه

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب : أي

لِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ أَبُو طَالِبٍ وَالْعَبَّاسِ وَحَمْرَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ . وَتَدَّ زَوْجَ عِنْدَ
 اللَّهِ أَمِنَةَ ابْنَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةَ أَخُو جَدِّ نَسِيِّ
 ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مَرَّةٍ ، وَقَدَّ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلَمْ تَجِدْ فِي
 حَمْلِهِ ثِقَلًا وَلَا وَجَعًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّحِيحَاتِ الْأَجْسَامِ ،
 وَقَدَّ رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَّاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، أَنَّ
 الصَّحَابَةَ سَأَلُو دُصْلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الشَّانِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ
 اللَّهِ خَبَرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ
 وَغَيْرِهِمَا : مَا كَانَ بَدَأَ أَمْرُكَ ، فَقَالَ « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ^(١) ، وَبُشْرَى
 عَيْسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى
 مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » وَقَدَّ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي الْمَنَامِ ، وَلَكِنَّهَا
 رُؤْيَا صَادِقَةٌ لَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَصَحَّحَ ابْنُ حِبَّانٍ أَنَّ ذَلِكَ
 النُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا الْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

تاريخ ولادته وفهر رضاعته ومضانته

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيَّ الْخَلْقِ ، جَمِيلَ الصُّورَةِ صَحِيحَ
 الْجِسْمِ ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي عَامِ الْفِيلِ ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوْ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله (ربنا وابعث فيهم
 رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل ،
وكان ذلك العام، هو الحادي والسبعين بعد الخمس مئة من مولد المسيح
عليهما الصلاة والسلام، وقد توفي والده وهو حمل، فكفله جده
شيبه الحمد، فارضته أمة ثلاثة أيام، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب
عدة أيام، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده
بارضاعه إلى حليلة السعدية، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في
العيشة الخلوية، ثم ردت حليلة إلى أمه بعد أربع سنين، فحضنته
إلى أن توفيت وله ست سنين، فأصبح صلى الله عليه وسلم يتيم الأبوين،
فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين، ثم توفي بعد أن أوصى به
أبا طالب عمه، فخاطبه بعنايته كما يحوط ولده وأهله، إلا أنه كان
لفقره يعيش عيشة القشف، فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم
الترف، وذلك من عنايته تعالى بتربية هذا المصلح العظيم، عليه
من الله أفضل الصلاة والتسليم

معبشة في الحرائر وكسبه وزواجه

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتِيمًا، وَنَشَأَ فِي قَوْمِهِ فَقِيرًا، وَمَاتَ
وَالِدُهُ فِي سِنِّ الشَّبَابِ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالًا إِلَّا خَمْسَةَ جِالٍ وَبِضْعَ نَعَاجٍ،
وَكَانَ قَدْ أَلْفَ رَعِي النِّعَمِ مَعَ إِخْوَتِهِ فِي الرِّضَاعِ، فَصَارَ يَرْعَى لِأَهْلِ

مكة ، فَيُوفَّرُ عَلَى كَافِلِهِ أَبِي طَالِبٍ بِمَا يَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرَةِ ،
ثُمَّ سَافَرَ مَعَ عَمَّتِهِ أَبِي طَالِبٍ فِي تِجَارَتِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ
اِثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَهُنَالِكَ رَأَاهُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ ،
وَبَشَّرَ بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ ، وَحَدَّرَهُ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ رَأَى
خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، مُتَجَرِّبًا
بِمَالِ خَدِيجَةَ تِجَارَةَ الْمُضَارَبَةِ ، فَأَعْطَتْهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ
إِذْ جَاءَتْ تِلْكَ التِّجَارَةُ بِأَرْبَاحٍ مُضَاعَفَةٍ ، بَلْ جَاءَتْ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، أَعْقَلٌ وَأَكْمَلُ
أَمْرَاءَةٍ فِي قُرَيْشٍ ، حَتَّى كَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ [الطَّاهِرَةَ] ، لِمَالِهَا
مِنَ الصِّيَانَةِ وَالْفَضَائِلِ الظَّاهِرَةِ ، وَلَمَّا حَدَّثَهَا غُلَامُهَا مَيْسِرَةَ بِمَا رَأَى
مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فِي رَحْلَتِهِ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ ، مِنْ الْأَخْلَاقِ
الْعَالِيَةِ ، وَالْفَضَائِلِ السَّامِيَةِ ، وَمَا قَالَهُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ ، لِعَمَّتِهِ أَبِي طَالِبٍ ،
تَعَلَّقَتْ رَغْبَتُهَا بِأَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا ، بَلْ تَرَقَّتْ أَفْكَارُهَا إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى (*)

(*) روى الفاكهي في تاريخ مكة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه الى خديجة ، فأذن له وبعث بعده جارية يقال
لها نبعة ، فقال النظري ما تقول له خديجة ، قالت نبعة فرأيت عجا : ما هو إلا أن
سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فاخذت بيده فضمتهما الى صدرها ونحرها ،
ثم قالت بأبي أنت وأمي والله ما أفعل هذا الشيء ، ولكي أرجو أن تكون أنت النبي
الذي ستبعث ، فان تكن هو فاعرف حتى ومزليتي ، وادع الاظه الذي يبعثك لي ، =

قَمَّ ذَلِكَ الزَّوْاجُ الْمَيْمُونُ، وَكَانَ هُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ
 أَرْبَعِينَ، وَتُوفِّيَتْ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِعِشْرِينَ سَنِينَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَلَيْهَا، وَلَا أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَهَا، وَكَانَ طُولَ عُمُرِهِ يَذْكُرُهَا، حَتَّى كَانَتْ
 عَائِشَةُ تَغَارُ مِنْهَا وَمَنْ تَرَاهَا، قَالَتْ مِنْ حَدِيثِ لَهَا: قَدْ كَرَّهَا يَوْمًا مِنْ
 الْأَيَّامِ، فَأَخَذَتْنِي الْغَيْرَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هَلْ كَانَتْ
 إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ « لَا وَاللَّهِ مَا
 أَبْدَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا، آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي
 النَّاسُ، وَوَأَسْتَيْ فِيهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا
 الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ » ^(١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهَا « إِنَّهَا

= قَالَتْ فَقَالَ لَهَا « وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ قَدْ اصْطَنَعْتُ عِنْدِي مَا لِأَضِيعَهُ أَبَدًا،
 وَإِنْ يَكُنْ غَيْرِي فَإِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي تَصْنَعِينَ هَذَا لِأَجَلِهِ لَا يَضِيعُكَ أَبَدًا » وَيُؤَيِّدُ هَذَا
 مَا وَرَدَ فِي كَيْفِيَّةِ بَدَأِ الْوَحْيِ فِي الصَّحِيحِ، وَهُوَ أَنَّ خَدِيجَةَ قَالَتْ لَهُ حِينَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ
 عَاقِبَةَ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْجَهْدِ، عِنْدَ مَا ظَهَرَ لَهُ الْمَلِكُ، « كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَحْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا،
 إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَعِينُ عَلَى
 نَوَائِبِ الْحَقِّ » وَكَذَا مَا ثَبَتَ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْدِلُهُ الزَّادَ، لِتَنْقَطِعَ إِلَى التَّحَنُّثِ فِي
 غَارِ حِرَاءَ، وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى نَعِيسَةَ بِنْتِ أُمِّيَّةَ أُخْتِ يَعْلَى قَالَتْ: كَانَتْ خَدِيجَةَ
 امْرَأَةً شَرِيفَةً جَلِيَّةً كَثِيرَةَ الْمَالِ، وَلَمَّا تَأَمَّتْ كَانَ كُلُّ شَرِيفٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَمَنَّى أَنْ
 يَتَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا سَافَرَ النَّبِيُّ (ص) فِي تِجَارَتِهَا وَرَجَعَ بِرَيْحٍ وَأَفْرَ رَغِبَتْ فِيهِ، فَأَرْسَلَتْني
 دَسِيسًا إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ؟ فَقَالَ « مَا فِي يَدِي شَيْءٌ » فَقُلْتُ فَإِنْ
 كَفَيْتِ وَدَعَيْتِ إِلَى الْمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْكَفَاءَةِ؟ قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَتْ: خَدِيجَةُ، فَأَجَابَ
 (١) وَفِي رِوَايَةٍ إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ. رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ وَكَذَا
 الدُّوَلَابِيُّ فِي الذَّرِّيَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ طَرِيقِ وَائِلِ بْنِ دَاوُدَ - وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ - عَنْ عَبْدِ
 اللَّهِ الْبَهِيِّ - وَهُوَ مَقْبُولٌ - عَنْهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا أَذْكُرُهَا بَعْدَهَا بِسِنَةِ أَبَدًا.

مَا غَارَتْ عَلَى امْرَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا، وَعَلَّتْ
ذَلِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا؛ ^(١) — فَبِذَا هُوَ الْوَفَاءُ الْكَامِلُ اللَّائِقُ
بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ

البعثة النبوية وحمد سيرة صلى الله عليه وسلم قبلها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطًا فِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرْقَاهُمْ
بَلْ أَرْقَى الْبَشَرَ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَشَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَتَوَلَّ
هُوَ وَلَا وَالِدُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ قُرَيْشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَامِرَهُمْ وَلَا نَدْوَتَهُمْ، وَلَمْ يَنْظِمِ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظِمُونَ، وَلَا عُنِيَ بِالْخُطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَنُونَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يَدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوِ الْبَحْثِ فِي شُؤْنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَصَلَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنَ الْمَفَاخِرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤْنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَحِبُّ
الْعُزْلَةَ، وَيَأْتِفُ الْوَحْدَةَ؛ وَرَوِيَ أَنَّهُ فِي حَدِيثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،

(١) ذكر الحافظ ابن حجر ذلك في ترجمتها من الاصابة وانها قالت . وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذبح الشاة يقول « أرسلوا إلى أصدقاء خديجة »
فأغضبته يوماً وقلت خديجة ! فقال « إني قد رزقت حبها » وفي رواية عزاها
الحافظ في الاصابة الى الصحيح انه قال « إني لأحب حبيبها » ورواية
الاستيعاب عنها : وان كان ليذبح الشاة فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لمن .
والصدائق جمع صديقة

الَّتِي اللَّهُ فِيهَا عَلَيْهِ النَّوْمُ ؛ وَحُبُّ الْعِزَّةِ وَالْإِنْكَشَافِ ، مَعْرُوفٌ
 عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَازُ فِي
 نَشَأَتِهِ الْأُولَى عَلَى الْأَتْرَابِ ، بِالزَّيَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
 الْأَدَابِ ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينِ ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالْأَمِينِ .
 عَلَى هَذِهِ الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأَسْتَوَى ،
 وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقُوَى . — لَا طَمَعَ
 فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَلَا تَطَّلَعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شُهْرَةٍ . وَكَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ
 بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِنْهُ
 فَلَقِيَ الصَّبْحَ ^(١) وَاصْنَعَهُ ؛ ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ ، ^(٢) وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ
 حِرَاءٍ ؛ ^(٣) فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، ^(٤) ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
 فَيَتَزَوَّدُ ؛ ^(٥) حَتَّى جَاءَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ ، بِنُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ

(١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
 فرقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلا ثم مستطيرا ومنه (فلق
 الاصباح) وبهذا المعنى اضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما
 رأى اذ تطعم المعاني في مرآة روحه الصقيلة كما هي ، فهذا ضرب من الوحي وكانت
 مدته قبل وحي اليقظة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
 رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والانفراد

(٣) الغار تقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
 الذهاب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه
 الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ،
 يتسع للمختلي فيه مجال الفكر ، والشعور بعظمة الرب ،

(٤) أصل التحنن توقي الحنث أي الأثم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث
 بالعبء ، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالتفكر خاصة ، واختلف في عدد
 الليالي التي كان يقامها ويتزود مثلها (٥) التزود اتخاذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثَّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَاتَّقَنَهُ عَنْ رَبِّهِ
أَفْضَلَ التَّنْزِيلِ ؛ قَالَ لَهُ أَقْرَأْ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لِأَمِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يُفْطَهُ أَيُّ يَضْمُهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَعْصُرُهُ ، حَتَّى
يَبْلُغَ مِنْهُ أَجْهَدُ مَبْلَغُهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنْ تَغِيبَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةُ
عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِدَّ لِتَلْقَى الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَسْكُونَ وَاسِطَةَ
بَيْنِ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْحَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أُرْسِلَهُ فِي
الثَّالِثَةِ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ •) أَيُّ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ، لَا بِأَسْمِي وَلَا
بِأَسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
جَمْعِكَ قَارِئًا لِآيَاتِ رَبِّكَ ، الَّتِي أَقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرَسُمَهَا
بِالْوَحْيِ فِي لَوْحِ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، —
فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ،
وَقَدْ أَرْتَعَدَ بَدَنُهُ وَلَكِنْ حَفِظَ رَشَادَهُ ، فَقَالَ « زَمُّونِي زَمُّونِي »
فَزَمُّوهُ ، أَيُّ لَفَّضُوهُ بِالثِّيَابِ وَدَثُّوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ أَخْبَرَ
خَدِيجَةَ الْخَبْرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيُّ الْمَلَكَ أَوْ الضَّرَرَ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَحْزُنُكَ ^(١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ، ^(٢)
 وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ^(٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ^(٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى
 نَوَائِبِ الْحَقِّ ^(٥). ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ ثَلَاثَ سِنِينَ، قَوِيَ فِيهَا الْأَسْتِغْدَادُ
 وَأَشْتَدَّ الشَّوْقُ وَالْحَزِينُ، قَالَ «يَبْنَأُ أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ
 السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ» وَذَكَرَ أَنَّهُ
 رُِعِبَ مِنْهُ أَيْضًا، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرَّعْبَةِ الْأُولَى، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
 فَتَزَمَلَ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْهُ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ
 وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْهُ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيَ وَتَتَابَعُ، وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يحزنك من أخزاه
 بمعنى فضحه وأهانته (٢) أي نحسن للاقارب بما يليق بكل منهم
 (٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعا والمتعب، أي تحمل أقال الناس
 أو تحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب المحتاج ما هو
 عادم له (٥) النوائب النوازل والمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير
 باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها
 وافتقارها أن من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والحديث في
 الصحيحين، وتمامه باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن
 نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الإنجيل بالعبرانية، وكان
 شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي ماذا
 ترى؟ فأخبره «ص» خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
 موسى. ياليتني فيها جذع «اي شاب» ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك.
 فقال له رسول الله «ص» او مخرجي تم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
 به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشأ ورقة ان
 توفي وفتر الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةٌ رَسَّهَ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى الْمَشْرُكِينَ وَتَتَابَعُ (١) فَمَا هَذَا
النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؟

تبليغ الدعوة الإسلامية ومخاصرها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْعَائِلَ فِي حَدَائِثِهِ، الرَّاعِي الشَّرِيفَ التَّاجِرَ الْقَنُوعَ فِي
شَبَابَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِرِزْوَانِهِ، الْوَالِدَ الْعَطُوفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصَبِيَّتِهِ (٢)
الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِيفًا، وَلَا كَتَبَ سِطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ نَثْرًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَارَقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَسْتَحُوذَتْ عَلَيْهَا نَزَعَاتُ الْوَثْنِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّينِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتَ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْعُرْفِيَّةِ،
لَيْسَ لَهَا رَيْسٌ مَتَّبُوعٌ، وَلَا قَانُونٌ مُشْرُوعٌ، قَامَ فِيهَا يَدْعُوهَا إِلَى
تَوْحِيدٍ يَجْتَثُّ جَرَائِمَ الْوَثْنِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ؛
وَإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِيَّةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ
الْوَرَاثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهَا وَحَوَاسِنِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التتابع (بالباء قبل العين) التهافت والاسراع في الشر أو التتابع (بالباء

الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والظاهر وقيل الطيب والظاهر
لقبان لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الاربع ، وابراهيم من مارية القبطية

وَالْإِنْتِفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
 بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَائِدَةً
 وَنَفْعًا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابِ مُهِمِّينَ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
 وَدِينِ أَنْزَلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيعَةِ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةِ
 أَجْتِهَادِيَّةِ ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الْأَجْتِمَاعِيَّةِ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
 الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِاعْتِنَافِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
 وَجَعَلِهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
 الَّتِي يَنْتَقِرُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
 فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرَأَ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظَ
 لِمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحُسْنَ
 النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، مَا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
 الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا تَقُومُ
 بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سِيَاحُ الْفُضِيلَةِ وَتَقْوَمُ
 الْأَخْلَاقُ وَالْعَادَاتُ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تَقْدَرُ بِقُدْرَتِهَا ، وَيُجْتَهَدُ فِي
 إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
 الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعِبَادُ ؛ وَلَا يُسْتَلُّ فِيهَا بِالْقَتْلِ ^(١) وَلَا يُدْفَنُ عَلَى
 الْجُرْحِ ؛ ^(٢) وَمَنْ رَجَحَتْ كِفْتُنَا بِالْإِثْمَانِ ^(٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتيل تشويبه بقطع بعض أعضائه كجذع الأنف وصلم الأذنين
 وقلع العينين (٢) التذيف على الجريح الإجهاز عليه أي إمامته (٣) الإثمان
 في الأعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الإسلام وإصلاحه =

بِالْأَمْرِ عَنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ ، (فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَاً فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ
 الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدْتَ نَارَهَا ،
 وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ جَنَحْنَا لَهَا ، ^(٢) لِأَنَّ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، - إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
 أَهْمِّهَا أَحْكَامُ الرِّقِّ ، بِبَارِعَبٍ وَأَوْجَبَ فِيهَا مِنَ الْعِتْقِ . وَأَحْكَامُ
 الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْحُقُوقِ وَالْإِزْتِ وَالْتَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
 وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا الْأَصْلَاحِ الْعَظِيمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
 عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
 قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ ، وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
 وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= ابطال ما كانت الامم تستبيحه من استئصال اعدائها . ولم يكتبف بمنع قتل
 من لا يقاتل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا
 شرهم ، وان نكتفي حينئذ باسراهم ، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك
 اسراهم بلا مقابل ، وبين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله
 تعالى (حتى اذا انختموهم فشدوا الوثاق فإِما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب ، والمعنى حتى تنقضي
 الحرب بوضع المحار بين لا تقالها من السلاح والذخائر عن افسهم - وقيل بترك
 الكفار للعدوان والذنوب الموجبة لها .

(٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث اللفظ

(٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ
 اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ مِصْرَ وَالشَّامَ ، وَيُعْطِيهِمْ مُلْكًا كَسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَنَّهُمْ
 سَيَكُونُونَ هُمُ الْأُمَّةَ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

قَامَ ﷺ بِهَذِهِ الدَّعْوَةَ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ
 الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَمُتْ أَدُّ كِي قُرَيْشٍ وَأَعْقَلُهُمْ لَهَا
 سَبَبًا إِلَّا الْأَجْنُونَ ، أَوْ نَبَزَ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بِلِقَبِ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ مَفْتُونٍ ،
 إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ،
 لِمَا هُوَ دُونَهَا بِمَرَّاحِلٍ ، - لَأَحْوَلُ لَا قُوَّةَ ، لَا مَالٌ لِعَصَبِيَّةٍ ، لَا سَلِيْقَةَ
 فِي الشَّرِّ تَجْدِبُ الْقَلْبَ ، لَا تَمَرُّنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤَثِّرُ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ
 أَنَّهُ طُبِعَ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوِيلَ عُمُرِهِ عَيْشَةَ الْجِدِّ ، فَكَانَ أَقْرَبُ
 مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّهَا تَزَعُّ مِنْ تَزَعَاتِ
 الْجَنُوبِ ، وَلَوْلَا مَا أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ،
 وَأَعْظَمَهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْلَا تَصْدِيقُ اللَّهِ

تَعَالَى إِيَادُ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَقَهُ بِذَلِكَ انْقَوْلِ الْفَصْلَ . لَقَالَ بِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ فِي
 كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ،
 (ن) ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ^(١) * فَسَتَبْصُرُ
 وَيُبْصِرُونَ * بَأْيُكُمْ الْمُفْتُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

آية الله الكبرى - الفرائد الحكيم

أَيَّدُ اللَّهُ بِالْبُرْهَانِ وَالْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَآتَاهُ كَثِيرًا مِنْ آيَاتِ
 الْكَوْنِيَّةِ ، وَأَمَّا آيَةُ اللَّهِ الْكُبْرَى عَلَى نُبُوَّتِهِ فَهِيَ الْقُرْآنُ ، الْحُجَّةُ
 الْبَاقِيَّةُ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ ، الْمُعْجَزُ لِاخْتِلاقِ بَقْوَةِ هِدَايَتِهِ ، وَبِبِلَاغَةِ عِبَارَتِهِ ،
 وَبِأَسَالِيبِ بَيَانِهِ ، وَبِصِحَّةِ حُجَّتِهِ وَبُرْهَانِهِ ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ أَخْبَارِ
 الْغَيْبِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْحَاضِرَةِ فِي عَهْدِ التَّنْزِيلِ وَالْآيَةِ ، ^(٢) وَبِأَسْتِمَالِهِ

(١) أي قسما مجنس القلم الشامل للقلم الالهي الذي يسطر علوم المقادير في لوح الوجود
 المحفوظ ، وعلوم الوحي في قلوب الرسل ، والعلوم الكسبية والضرورية في جميع القلوب
 ولا أقلام الخلق التي تحفظ بها علومهم — ما أنت أمها الرسول بنعمة الله عليك بعلوم الوحي
 بعد الامية بجنون ، فان الجنون يذهب بعلم العلم وهذه النعمة جعلت الامي علما
 معلما هاديا مهديا ، ان لك على قيامك بهذه النعمة لاجرا غير مقطوع ، فان ما يترتب
 على دعوتك من الخير لا يتقطع ، وفيه بشارة بنجاح الدعوة وكان في اول الاسلام .
 وانك اعلى خلق عظيم ولا خلاق للمجانين من مكارم الاخلاق ، واذا كان الامر
 كذلك فستبصر ويبصر قومك اي الفريقين المفتون ، والضال الجدير بوصف الجنون
 (٢) اما الماضية فكخبار الرسل واقوامهم ، واما الحاضرة الحاصلة في عهد
 الرسول فكالذي ترى في سورة الفتح وسورة التوبة وأول سورة الروم ، واما المستقبلية
 فكوعده تعالى باظهار الاسلام على الدين كله

عَلَى أَكْمَلِ الْأَدْيَانِ الْأَلِيَّةِ، وَاعْدَلِ الشَّرَائِعِ الْمُدْنِيَّةِ، الْجَامِعِينَ بَيْنَ
الْفَضَائِلِ الرُّوحِيَّةِ، وَالْمَصَالِحِ الْجَسَدِيَّةِ، الْفَرْدِيَّةِ مِنْهَا وَالْإِجْمَاعِيَّةِ،
الَّذِينَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا النَّوْعُ الْإِنْسَانِيُّ لِلدُّخُولِ فِي سِنِّ الرُّشْدِ، وَكَمَالِ
اسْتِقْلَالِ الْعَقْلِ، لِإِبْنَائِهِمَا عَلَى سُنَنِ الْفِطْرَةِ، وَمُؤَافَقَتِهِمَا لِمُقْتَضَى
الْحِكْمَةِ، وَبِعِصْمَتِهِ مِنَ الْأَخْتِلَافِ وَالْتِعَارُضِ، وَتَزْهِهِ عَنِ
الْكُذْبِ وَالتَّنَاقُضِ، وَبِكُونِهِ لَا تَمَلُّ تِلَاوَتُهُ، وَلَا تَزُولُ رَوْعَتُهُ،
وَلَا تَبْلَى جِدَّتُهُ، وَلَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْفُذُ غَرَائِبُهُ، تَقْرَأُ مِنْهُ
فِي كُلِّ زَمَانٍ، مَا يُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّهُ أُزِلَ الْآنَ، إِمَّا فِي بَيَانِ حَالِ
الشَّيْءِ وَصِفَتِهِ، وَإِمَّا فِي بَيَانِ سَبَبِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَأَقْرَأُ فِي صِفَةِ
هَذِهِ الْحَرْبِ، الْمَشْتَعِلَةِ بَيْنَ أَعْظَمِ أُمَّةِ الْعَرَبِ، (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ
عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ،
أَوْ يَلْبَسَكُمْ سِيعًا وَيُدْخِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، انظُرْ كَيْفَ
نُصِرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)^(١) وَقَوْلَهُ تَعَالَى (فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٢) وَأَقْرَأُ فِي
بَيَانِ حِكْمَتِهَا الْخَفِيَّةِ أَوْ الْجَلِيَّةِ، وَحَالِ عَوَاصِمِ أُمَّهَا الْمُتَرْقَةِ
الغَنِيَّةِ وَنَسْرِهَا بِأَيِّهِ مُتْلَاقَرَةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَآذَا قَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

(١) تمثل حرب الطيارات والمناطيد والفواصات والالغام وعبادة الدول

(٢) تمثل دخان الغازات السامة الخائفة والمبكية والمعمية التي عرفت في هذه الحرب

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) أَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ آيَاتٍ، قَدْ بَيَّنَّتْ صُورَةَ هَذِهِ الْحَرْبِ وَمَعْنَاهَا أَنْخَصَرَ الْعِبَارَاتِ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَعْجَزَاتُ وَالْعُلُومُ الْغَيْبِيَّةُ وَالشُّهُودِيَّةُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْمُبِينِ، وَمَا أَخْتَرَعَتْهُ مُخَيَّلَةٌ ذَلِكَ الْأُمِّيُّ النَّاشِئُ بَيْنَ الْأُمِّيِّينَ، بَعْدَ عَجْزِهِ عَمَّا دُونَهَا إِلَى مَا بَعْدَ سِنِّ الْأَرْبَعِينَ، كَلًّا وَإِنَّمَا أَعْرَضَ عَنْهُ الرُّؤْسَاءُ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا، وَالْمَرْءُ وَسُونَ تَقْلِيدًا لَهُمْ وَأُتْبَاعًا،

(حم) . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ) (١)

تَحَدَّى ﷺ الْعَرَبَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا وَنَكَلُوا (٢) وَلَوْ اسْتَطَاعُوا لَكَذَّبُوا قَوْلَهُ لَهُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَنْ تَفْعَلُوا)، وَعَلِمَ الرُّؤْسَاءُ

(١) اي قلوبنا في اغطية تمتع وصول دعوتك اليها، وفي آذاننا ثقل بل صمم فلا نسمع ما تقرأ علينا او تقوله لنا، ومن بيننا و بينك حجاب من عداوتنا لك فاعمل ما تستطيع لنشر دعوتك ، انا عاملون ما نستطيع من مقاومتك (٢) أي طلب منهم ان يعارضوه بالآيات بسورة مثل سورة في علومها وهدايتها وفي اسلوبها و بلاغتها، ليثبتوا زعمهم انه من كلام البشر . واخبرهم بانهم ان يفعلوا ذلك ابد الدهر، وهو «ص» لم يكن قبله يمتاز فيهم بعلم ولا بلاغة. فعجزوا ونكصوا عينا وجهلا، ان اصغر سورة في القرآن الكوثر وفيها خبران من اخبار الغيب: إعطاء النبي الخير الكثير بعد القلة والفقر وكون شائته ومبغضه هو الأبر الذي يفقد كل خير، وكل منهما قد حصل، فقد فقد أعداؤه الأغنياء كل خير وهلكوا، واورثه الله بلادهم كلها وورد في سبب نزولها ان بعضهم قال لما مات ولده عبد الله بعد موت القاسم بن محمد اي صار ابتر لا عقب له، فكان هو الذي مات ابتر

المستكبرون منهم أن سيء بذي العرب به ^(١) إلى الأمان، بما له من
السلطان على العقل والوجدان، فمنعوا من تلاوته، ومنعوا العرب من
سماع دعوته، (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون) وقد سمعها طائفتهم الوليد بن المغيرة، فكاد أن يحجوا
بتأثيره عناده وغروره، فأوقد الطاغوت أبو جهل نار حميته، وحمله
على أن يقول فيه ما يشعر بإنكاره وكرهته، كقول بعضهم بغير
شعور إنه شعر شاعر، وقول آخرين بغير عقل إنه كهانة كاهن، قال
له: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا يجرده ولا
يقصده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من
هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول للحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه
لمثمر أعلاه، ممدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليعظم
ما تحته. فلما ألح عليه أبو جهل، قال فدعني حتى أفكر في الأمر،
فلما فكر وقدر، قال هذا سحر يوتّر ^(٢)

«١» أي انه يجذب العرب بالقرآن

«٢» قصة الوليد مشهورة رواها الحاكم وصححها والبيهقي في الدلائل بنحو ما

ذكرنا، وفيها نزل «درني ومن خلقت وحيدا» الآيات من سورة المدثر فتراجع
مع تفسيرها. وروي انه رأى النبي «ص» يقرأ سورة حم فصلت فآثر في نفسه
ولان له. وفي رواية انه قال لابي مخزوم عشرته: لقد سمعت من محمد كلاما ما هو
من كلام الانس ولا من كلام الجن. ان له للحلاوة، وان عليه لطلاوة، وان اعلاه
لمثمر، وان اسفله لممدق، وانه يعلو وما يعلى. تخافوا ان يسلم فتبعه قريش،
فداركه أبو جهل واثار حميته حتى تكلف القول بانه سحر لانه يفرق بين الرجل
وابيه بعد ان قال لهم: تزعمون ان محمداً مجنون فهل رايتموه يخفق؟ وتقولون انه =

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
 فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أَهْلِهِ طَيْبٌ وَلَا عِلَاجٌ،
 فَأَدْعَى أَنَّهُ طَيْبٌ يُبْرِئُ الْعِلَانَ، فَكَذَّبُوهُ، فَأَثَبَتْ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ
 وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابٍ عَالَجٍ بِهِ أَوْلِيكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أَعْضَلَتْ
 أَدْوَاؤُهُمْ، وَأَخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَقُوا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ، إِلَّا مَنْ
 أَعْرَضَ عَنِ دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ، بَلِ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ:
 الْأَلْبَدُ مَدَاوِيذُ امْرَاضِ الْأُمَّمِ الرَّوْحِيَّةِ وَالْأَجْبَاعِيَّةِ، أَعْرَضُوا
 وَأَعْسَرُوا مِنْ مَدَاوِيذِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
 لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
 الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ دَرَسَهَا فِي كِتَابِهَا، وَتَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِدَتِهَا،
 يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا الْقَوْلُ فِي أُمَّي نَشَأَ
 بَيْنَ أُمَّيْنِ، قَامَ بِذَلِكَ الْأِصْلَاحِ الَّذِي تَغَيَّرَ بِهِ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
 فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَأَمْتَدَّ مَعَ لِقَائِهِ
 فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَوْرُيَّةٍ وَأَفْرِيقِيَّةٍ مِنَ الْقَرْبِ،

== كادن فهل رايتموه قط بتكهن؟ وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه بتماطى شعرا
 قط؟ وتزعمون انه كذاب فهل جر بتم عليه شيئا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك
 اللهم لا ثم قالوا ماهو؟ فقال ما هو الاساحر. القرآن ووصفه بالخلاوة والطلاوة وصف
 لعبارة واسلوبه، وما بعده وصف لمعانيه، شبهه بالشجرة المثمرة النابتة في الارض
 الطيبة ذات الماء العذب الكثير، ووصفه بانه يئوكل شيء ولا يعلوه شيء، وبانه محطم
 ما نحتته اي يكمره ويسحقه، ولما كان يعلو ولا يعلو كان كل شيء خالفه نحتته، فكل
 ما خالفه محطوم هالك. ولعل هذا الكلام ابلغ ما قال فصحاء العرب

وإلى حدود بلاد الصين من جهة الشرق، حتى خضعت له الأمم،
 ودالت لدولته الدول، وكانت تتبعه في كل فتوحه الحضارة
 والمدنية، والعلوم العنلمية والكونية، نلى أيدي تلك الأمة
 الحديثة العهد بالأمية، التي علمها القرآن أن إصلاح الإنسان،
 يتبعه إصلاح الأكنوان، فهل يمكن أن يكون هذا إلا
 بوحي من لدن حكيم عليم، وتأيد سماوي من الإله العزيز القدير
 الرحيم، أختص به ذلك النبي الأبي الكريم، عليه من الله افضل
 الصلاة والتسليم؛

مناجزة الدعوة، والهاء الرسول الى الهجرة

بدأ دعوته صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته الأقربين، ومن في
 مكة من قريش ومن الموالي والوافدين، فلقى أشد الجحود والإيداء
 من قومه، الذين صدود عن تبليغ دعوة ربه، عملاً بقول عمه أبي لهب:
 خذوا على يديه، قبل أن تجتمع العرب عليه؛ وكانوا يضطهدون
 كل من آمن به، إلا من له عشيرة تمنعه، يسومونهم سوء العذاب،
 كالجوع والعطش والضرب والسكي بالنار، فبينهم من صبر حتى على
 النيران، ومنهم من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان.
 حتى إذا اشتدت الفتنه، أذنوا بالهجرة سراً إلى الحبشة، فأكرم

النجاشي^(١)، متوآهم، وأم يقبل فيهم وشاية كبراء قريش ولا هداياهم، وكان عاقبة أمره أن أسلم، وصلى عليه عند موته النبي ﷺ، ثم إن قريشاً أخرجوا عمه أبا طالب وآله من مكة، لأنه لم يخل بينهم وبينه، فجمع أبو طالب بني هاشم والمطلب، ودخل بهم ومعهم النبي ﷺ في الشعب^(٢)، واجتمعت قريش مقاطعتهم، وعدم مصاهرتهم؛ وأن لا يبيعوهم ولا يتاعوا منهم شيئاً، ولا يقبلوا منهم صلحاء، إلا أن يسلموا محمداً لقتل، فمكثوا ثلاث سنين في الشعب، وهم في أشد البلاء والجهد، وكان بعض ما ستهم من الضرر، أن أكلوا ورق الشجر، ثم أشد إيداء قريش له ولعن آمن به بعد وفاة خديجة وأبي طالب، وقد توفياً في عام واحد^(٣)، وكان ﷺ يعرض نفسه في كل موسم على القبائل، فيغشاهم في عكاظ ومجنة وذو الحجاز^(٤) وفي المنازل، وكان يقول لهم: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتلكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم» ويدعوهم إلى أن يحموه للقيام بهذا الأمر، فلم يحمه من قريش أحد، ولكن آمن به في موسم الحج، ستة نفر من أهل يثرب^(٥) كلهم من الخزرج، وكانوا يسمعون من اليهود خلفائهم، إن نبياً من الأنبياء

(١) النجاشي ملك الحبشة وكان اسمه أصحمة (٢) الوادي وما انفرج بين جبلين

(٣) توفياً بعد ستة أشهر من الخروج من الشعب سنة عشر من البعثة وثلاث قبل الهجرة، والارجح أنها ماتت بعده بثلاثة أيام (٤) مواضع وهي مجامع العرب

واسواقها في أيام المواسم (٥) هي المدينة المنورة

سَابِقَةً فِي زَمَانِهِمْ ، ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي تَوْسِعِ آخِرٍ ، وَصَارُوا
يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ﷺ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ
الْقُرْآنَ ، فَفُشِيَ الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَ فِي التَّوَسِعِ الثَّلَاثِ أَمْرٌ أَنَا وَثَلَاثَةٌ
وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَيْهِمْ ،
وَأَنْ يَمْنَعُوهُ - أَيَّ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،
فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جَهْورٌ مِنْ أَمَنِ
بِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ ،
فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْبَرُ
قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابُهُ بِالسَّرِّ ، فَفَزَعُوا إِلَى
الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَيْبَةِ رَاحِلَتَيْنِ
وَزَادًا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ
يَأْتِرُونَ^(١) بِالرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ وَبَعْضُهُمْ
يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرْجِحُ قَسْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ
قَبِيلَةٍ شَابًا يَهْدَأُ جَلْدًا ،^(٢) يُعْطُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَيْفًا ، يَضْرِبُونَهُ
بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ ، فَيَرْضَى
بِدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا أَجْتَمَعَ أَوْلِيَاكَ النَّفْرُ عَلَى أَبِيهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بَانَ
يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرُ بِرِدْدِهِ ، وَخَرَجَ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ
وَلَا شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، قَرَوْنَ

(١) يتشاورون في الأمر

(٢) النهْد الذي ينهداي ينهض لمعالي الامور ويطلق على الاسد. والجلد القوي الصابر

النَّائِمِ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ^(١))

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ خَرَجَا مُتَرَوِّدِينَ مِنْ خَوْخَةَ ^(٢) فِيهَا وَاسْتَخْفِيََا فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ نُورٍ ^(٣)؛ وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيَرْحَلَ بِهِمَا، وَأَعْطِيَاهُ رَا حِلْتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا ^(٤) وَوَعَدَاهُ غَارَ نُورٍ بَعْدَ ثَلَاثِ، فَكَتَمَ أَمْرَهُمَا وَوَأْفَاهُمَا فِي الْمِيعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا، خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلَبِهِمَا. ^(٥) حَتَّى إِذَا مَا أُنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ؛ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتِ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؛ لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ^(٦) وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خِدَّتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(١) المكر التدبير الخفي الذي يفضي بالمكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشر غالباً وقد يكون لا يبطال الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل .
والاثبات الاعتقال والحبس ، والاخراج النفي (٢) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير (٣) نور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم (٤) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء
(٥) القافة جمع قائف وهو الذي يصرّف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها
(٦) قوله «ص» ان الله معنا تفسير لما قبله أي فهو يؤيدنا ويكف الاذى عنا

لَمَنْ جَاءَهُمْ بِهِمَا دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمَا،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجَهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ، ^(١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى
الْدِيَارِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ ^(٢) حَتَّى وَافَاهُمْ
بِقَبَاءِ ^(٣) يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ ثَمَّ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَتَلَقَوْهُ بِالْإِكْرَامِ، وَأَقَامَ فِيهَا
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ نَزُولُهُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَبَنَى فِيهَا
مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْتِدَالِ
الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ،
وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّمَامِ
وَالْكَمَالِ، وَقَدْ أَدْرَكَتُهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بِهِمْ
فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فِي بَطْنِ الْوَادِ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ نَاقَتِهِ:
«هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنْعَةِ وَالسَّلَاحِ» ^(٤)، فَقَالَ «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا
مَأْمُورَةٌ»، وَكَلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النَّزُولِ

١ الحرة موضع بظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس

تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبر كان

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع، ويقصر أيضا

(٤) الخطام الحبل الذي يوضع في عظم الراحلة أي أنها لتقاد به و: هلم

المع حكاية لقولهم أي قائلين هلم أي أقبل وتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ « دَعُوها فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ » وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارِ بَعْدَدَارِ،
إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخْوَالهِ بَنِي النَّجَّارِ،^(١)
فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ » ، وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْناءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ،^(٢) وَلَمْ يَفْرَحِ إِلَّا أَنْصَارُ بَشْيَاءِ كَفَرَحِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ ،
وَمِنْهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ^(٣) وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي أُفْتَخِرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ
بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

نَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا^(٤)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَمَنْ يُوْوِي وَلَمْ يَرَدَاعِيًا^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بغيرين وخمسمائة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها
زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج . وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هو فتح مكة
(٤) نوى أقام والحججة بالكسر السنة والبضع ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة
سنة بمكة يذكر ويعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم
جامع الحج . فلم يرم من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
يرداعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَتَانَا وَأُسْتَفْرَتَ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَطِيئَةً رَاضِيًا^(١)
 وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظِلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاطِلًا^(٢)
 بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعْيِ وَالنَّاسِيَا^(٣)

نَعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا^(٤)

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

اهلوفه وسبرته بعد الهجرة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمَ الْخَلْقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَأَدَابًا، اِمْتَاَزَ
 بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ
 خَاطَبَهُ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، كَانَ جَامِعًا بَيْنَ
 اللَّطْفِ وَالْتَوَاضُعِ وَالِدَّمَائَةِ، وَبَيْنَ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافر التي ينوبها سفره. وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أتانا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائبا

(٣) الوعى الحرب والتأسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكروه

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيبا لنا لا تؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أبيات

أخرى أيضا

بِدِيهَةِ هَابِهِ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،^(١) وَجَامِعًا بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحَيَاءِ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزْمِ وَالْمَضَاءِ، فَكَانَ فِي حَوْمَةِ أَلُوَنْحَى أَثَبَتَ النَّاسَ، وَكَانُوا يَلُوذُونَ بِهِ إِذَا أَشْتَدَّ الْبَأْسُ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ نَبَتَ وَحْدَهُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ^(٣)، وَإِنَّمَا كَانَ يُدَافِعُ عَنِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعًا، وَيُرْشِدُ الْمُقَاتِلِينَ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّنْبِيهِ إِرْشَادًا، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْجِي فِي الْحَقِّ عَشِيرَتَهُ وَلَا أَبْنَاءَ جِنْسِهِ، وَكَانَ عَلَى حِلْمِهِ أَلُوَاسِعَ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيِّمٍ، وَكَانَ أَجُودَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسُّحْبِ الْمُنْهَمَلَةِ، وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ ثَبَاتًا وَصَبْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِيهِ وَالنَّاسِ شُكْرًا^(٤)، وَكَانَ

(١) البديهة الفجأة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه او وقره واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة ، ومن خالطه اي عاشره مخالطة معرفة أحبه لحسن خلقه وكمال آدابه وشدة رحمته وعنايته بامر معاشره . وهذا الكلام من وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهمز ويخفف للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد به هنا الحرب ونحوها من المكاره الشديدة (٣) كان أبي من رموس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بمكة اسمه العود ويقول اقتل عليه محمدا فبلغ النبي «ص» خبره فقال « بل انا اقتله ان شاء الله » فلما كان يوم احد ونكب المسلمون وانكشقوا عن النبي «ص» اقبل ابي مقنعا بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول ابن هذا الذي يزعم انه نبي فليبرز لي فانه ان كان نبيا قتلتني ، فلما دنا من النبي «ص» اخذ النبي حرية من الحارث بن الصمة فطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي على الراس فسكر الخبيث منهزما ومات من ذلك الجرح في طريقهم الى مكة قبل بسرف وقيل براغ (٤) قال «ص» « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه احمد والترمذي عن ابي سعيد الخدري

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ ^(١)، وَيَأْكُلُ مِنَ
الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلَدَّ مِنْهُ نُسْكَاءً، وَلَا يَتَحَرَّاهُ تَتَمًّا وَتَرْفًا،
وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْتَنِي بِأَمْرِ الْمَاءِ ^(٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنِّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بِهِنَّ وَبِالْيَتَامَى وَالْأَرْفَاءَ، لِيَمْحُوَ مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَحْتِقَارَ الضُّعْفَاءِ،

وَكَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ الْخَلْقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِتَمَّ كَانُوا
يَتَقَاسَمُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَلَّفَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ
فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْتُو
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَغْيًا وَعُدْوَانًا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيُسَاوِي يَتَنَّهُمْ فِي الْأَقْبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُوَقِّرُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُشِيعُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيَجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ
فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدْ وادَعَهُمْ وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَمَّنَّهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يُحَارِبُوهُ، وَلَا يُظَاهِرُوا وَلَا يُوَالُوا ^(٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان يحب الشراب اليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشمائل وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى ابو داود والسقيا بالضم
عين على بعد يوم من المدينة او اكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصروا

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَالْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ، سِوَاكَ فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُوا عَهْدَهُ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَدَّتْ عَدَاوَتُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِمَنْ
آمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعْدِيهِمْ لِمَوَالِيِهِمْ وَضَعْفَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حُوهُهم
الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَوْ الْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ؛ عَلَى أَنْ قُرَيْشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهِنْدِي
وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ ١١٠^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمُ صلى الله عليه وسلم فِي الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٢)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَعَةِ وَالْقُوَّةِ ^(٣) —، عَلَى وَضْعِ
الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيَخْلُؤُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمَقْبَلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَامِ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي الى الحرم من الانعام دليل على عدم
ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدويبة ويشدده أكثر المحدثين برسمي
باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من
أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل
بعضها في الحل و بعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ مِنْ آثَامِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ ، وَكَانَ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ تَأْوِيلَ الرَّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَلِذَلِكَ أُسْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِيَاءُ مِنْ الصُّلْحِ حَتَّى خِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ ، ^(١) لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ الْكَثِيرَةِ ، ^(٢) وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَى إِثْبَاتِهِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} لِلسَّلَامِ ، وَمَا كَانَتْ حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ ذَلِكَ الصُّلْحِ اخْتِلَاطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ ، وَإِسْمَاعُهُمُ الْقُرْآنَ وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْمَجَاوِرِينَ ، ^(٣) فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِنِينَ مَقْتَنِعِينَ ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ ، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ ، فِي تَعْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصُّلْحِ ، مُبَيِّنَةً مَا فِيهِ مِنَ الْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ ، وَمُسْتَمَلَةً عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ ، فَسَمَاءُ فَتْحًا مُبِينًا ، وَأَعْقَبَهُ كَمَا وَعَدَ نَصْرًا عَزِيزًا ، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِفَتْحِ

(١) لما صالح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا الى الامتثال لما عراهم من ذهول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها « هلك المسلمون » وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج هديه ويحلق رأسه ، فخرج ففعل ذلك فتبعوه فذبحوا وصار يحلق بعضهم بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضها من الغم

(٢) عجل لهم فتح خيبر فقد عاد (ص) من الحديبية في ذي الحجة فأقام في المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في المحرم أول سنة سبع

(٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وفارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أْتَمَّ بِهِ النُّعْمَةَ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِيْمَانًا ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانَ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرٍ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشُّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأُلُوفَ أَحْكَامَ الْمُنَاسِكِ ^(١) ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدُ مِنْهُمْ الْغَائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَيَبَيِّنُهُ تَبْيِينًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يُئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا) وَبِهَذَا كَانَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ .

الخاتمة

أَقَامَ ﷺ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِيغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو إِلَى أَصُولِ
الْإِيْمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَرْكِ كَيْفِ
النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ أَدْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيَّتِهَا بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ
وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ، وَأُسْتَعْمَالَ نِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَاوِيَّةٍ
وَأَرْضِيَّةٍ ، فِيمَا تَطَهَّرُ بِهِ بِحِكْمَتِهِ وَتُشَاهِدُ آيَاتِهِ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَسَّعُ بِهَا
الْعُلُومُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْحَقُّ وَتَكْتُمُ مَوَارِدَ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة الوداع من ٤٠ ألفا إلى مئة وعشرين ألفا . وسببه انه خرج من المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حولها وكان الناس يتضمون اليهم في الطريق عدا من حج من سائر بلاد العرب

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الْأَضْطِّهَادِ وَالْأَذَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى أَنَّهُمْ عَرَضُوا
 عَلَيْهِ الْمُلْكَ وَالْمَالِ الدُّثْرَ، عَلَى أَنْ يَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَوْ كَانَ يَطْلُبُ
 الرِّيَاسَةَ لَأَثَرَ ذَلِكَ عَلَى الضَّعْفِ وَالْفَقْرِ، ثُمَّ دَخَلَ الْإِسْلَامُ بِالْهِجْرَةِ فِي
 عَهْدِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَكُونَتْ لَهُ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ فِيهِ مَفْصَلًا مَا أُجِدَّ
 فِي السُّورِ الْمَكِّيَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَبَيَانَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِيهِ فُرِضَتِ
 الزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَالصِّيَامُ، وَكَانَتِ الصَّلَاةُ فُرِضَتْ بِمَكَّةَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ
 وَبَيَّنَّتِ السَّنَةَ النَّبَوِيَّةَ جَمِيعَ فُرُوعِ الْعِبَادَاتِ، وَكُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ
 النُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ لِلسِّيَاسَةِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَامَلَاتِ، فَبِذَلِكَ كَلَّهُ أَكْمَلَ
 اللَّهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ الْأُلوْفُ مِنَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَشَرُّوا هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ،
 فَارَوْا أُمَّ الْحَضَارَةِ وَالْأَذْيَانَ الْقَدِيمَةَ، مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّيْرَةِ
 الْقَوِيمَةِ، مَا مَرَّ بِرِوَايَةِ مِثْلِهِ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَا رَوَوْا نَظِيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ
 قَبْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ مَدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، كَمَدَّةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ
 الْبَعْثَةِ ^(١) فَبَعْدَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ^(٢) قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ
 الْمُصْطَفَى، وَرَسُولَهُ الْمُجْتَبَى، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ
 الْأَعْلَى، فَتَوَفَّى بِطَارِكِ تَارِكًا لِلْأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ،
 كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ، وَعِثْرَتَهُ الْعَامِلِينَ بِهَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، ^(٣)

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة احدى
 عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك اشارة الى
 ان الايمان به يلي الايمان بالله تعالى، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم =

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ. (١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْعَامِلُونَ (٢) ، مُوسَسًا

== في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله (ص) خطيباً بناء يدعى 'خما' بين مكة والمدينة حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال «أما بعد إلا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به — فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» وفسر زيد أهل بيته بن حرم عليهم الصدقة قال وعم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. ويقول آخرون هم عبي وذريته من فاطمة عليهم السلام. واعمري أنهم كانوا أحفظ الناس لهدية حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين، وإن فتن الكثيرون منهم بغلاة المحبين، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الأمراء الظالمين، إذ كان من أثرها في ذريتهم أن تركوا كثيرهم العلم والأعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب، غافلين عن قول جدتهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه. ولله در بيت الأئمة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والمحافظة على الإمامة إلى اليوم. والثقل بالضم وبفتحيتين الشيء النفيس المصون وكذا امتاع المسافر وحشمه. قال النووي قال العلماء سمياً ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما وقيل لثقل العمل بهما. وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول «أني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي — أحدهما أعظم من الآخر — كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعتري أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردائي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وروى مثله أحمد والطبراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً وعلم عليه السيوطي بالصحة. وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة ابن أسيد وروي حديث معناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصح منه رواية. ويؤيده حديث مرسل في الموطأ (١) ورد في مناقب الخلفاء الأربعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرياض بن سارية عند أبي داود والترمذي «فعليناكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالتواجذ» الخ (٢) ورد في فضل أصحابه «ص» أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم أهم أمانة لأمنته فإذا ذهبوا أتاها ما يوعدون. ومعنى أمانة حفظه على الدين، ومنها الحديث الصحيح «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الخ رواه الشيخان وغيرها. والقرن العصر طال أو قصه

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شُورَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
 قِيدَتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةِ أَهْلِ الْحَلِّ
 وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَعْمُ الشَّرْقَ وَالغَرْبَ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
 كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأَعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
 فَإِذَا وَسَدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
 لِفَقْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةً عَلَى الْحَقِّ قَوَامَةً
 عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)
 وَقَدَّتْ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ
 وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنِ قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
 عَنِ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
 عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية فاقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدرج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند البخاري « اذا وسد الامر الى غير اهله فانظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله وهم كذلك » وحديث المغيرة « لن يزال قوم من امتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم امر الله وهم ظاهرون » واللفظان هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي احاديث اخرى ذكر تصابيح مقاتل على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والمحدث والمفسر والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والتعابد. اي لان اقامة الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبهما وبالعمل بهما وبالدفاع عنه بالحجة وبالنفوة (٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لموافقة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات، والحمد لله على نعمه التي تم بها الصالحات